﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾ [البقرة: 250]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

عُطِفَتْ هذه الآيةُ على الآية الّتي قبلها؛ لأنّها تَكْمِلةٌ للقِصَّةِ، وتَتْميمٌ لها، فقصَّةُ خروجِ طالُوتَ بجَيشه لم تَنْتَهِ في الآية السّابقة، ولا يزالُ سِياق الحديث مُستَمِرًّا عن مُجريات الأحداث، وتفصيلاتِ القصَّة الدَّقيقة، ورسْمِ وقائعها؛ فناسبَ أنْ تأتيَ هذه الآيةُ مُكَمِّلةً للأحداثِ، مُتمِّمةً لها.

ويُضافُ إلى ذلك: لمّا ذَكرَتِ الآيةُ السّابقةُ مَقالةَ المؤمنين المُشجِّعين لإخوانهم، الّذين تهيَّبوا قتالَ أعدائهم، وقالوا تَثْبيتاً وتَحفيزاً لهم: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ﴾ الآية، ذَكَرَ في هذه الآيةِ ما قالَه المؤمنون عند مُلاقاة عدوِّهم في المعركة: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بَرَزُواْ﴾: (بَرَزَ) الباءُ والرّاءُ والزّاءُ أَصْلٌ واحِدٌ، وهوَ ظُهورُ الشَّيْءِ وبُدُوُّهُ، قياسٌ لا يُخْلِفُ، يُقالُ: بَرَزَ الشَّيْءُ فهوَ بارِزٌ[1]، وبَرَزَ يَبْرُزُ بُروزًا: إذا ظهَرَ[2]، وبَرَزَ: خَرَجَ[3]، ومِنْهُ: المُبارَزَةُ لِلْقِتالِ، وهي: الظُّهورُ مِنَ الصَّفِّ[4]، وهوَ المعنى المراد هنا.

2) ﴿أَفۡرِغۡ﴾: جَذْرُه: (فَرَغَ)، والفاءُ والرّاءُ والغَيْنُ أَصْلٌ صَحيحٌ، يَدُلُّ عَلَى خُلُوٍّ وسَعَةِ ذَرْعٍ، مِنْ ذَلِكَ الفَراغُ: خِلافُ الشُّغْلِ، يُقالُ: فرَغَ فَرَاغًا وفُروغًا، وفَرِغَ أَيْضًا، ومِنَ البابِ الفَرْغُ: مَفْرَغُ الدَّلْوِ الَّذي يَنْصَبُّ مِنْهُ الماءُ، وأَفْرَغْتُ الماءَ: صَبَبْتُهُ[5]، والإفراغُ: الصَّبُّ، قال

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (برز).
(2) ابن دريد، الجمهرة: (برز).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (برز).
(4) الرّاغب، المفردات: (برز).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فرغ).

اللّه تعالى: ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾، أيْ: اصْبُبْ[1]، وأَفْرَغْتُ الدَّلْوَ: صَبَبْتُ ما فيه، ومنهُ اسْتُعيرَ: ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾[2]، أيْ: صُبَّ علينا الصَّبْرَ[3]، وهو المعنى المرادُ هنا.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ولمّا خَرَجَ طالُوتُ وجيشُه، ظاهرينَ في ميدان المعركة لجالُوتَ قائدِ قوات العَمالقة وجُنودِه، ورأوا الخطر رأي العين تَوَجَّهوا إلى اللّهِ بالدُّعاءِ قائلينَ: رَبَّنا صُبَّ على قُلوبِنا الصَّبْرَ صَبًّا، وثَبِّتْ أَقْدامَنا واجعلها راسخة في قتال العدو حَتَّى لا نَفِرَّ، ولا نَنْهَزِمَ أَمامَ عَدوِّنا، وانْصُرْنا بِقوَّتِكَ وتَأييدِكَ عَلى القَوْمِ الكافِرينَ[4].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

سِرُّ اختيارِ التَّعبيرِ بالفعل: ﴿بَرَزُواْ﴾:

أثـرُ المؤمنين في بناءِ الشَّجاعةِ والـجـرأة عند بقيَّة الجندِ

آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفعل: ﴿بَرَزُواْ﴾؛ لأنّه يُصوِّر أرضَ المعركةِ، فجنود طالوت برزوا لجالوت بعد أن كانوا مستورين أو بعيدين، فلما اقتربوا وظهروا؛ برزوا، والنَّظمُ يريد أن يُظهر ساعةَ الالتقاءِ، وأنَّها ساعةُ ظهورِ جند طالوت لجالوت وجنده؛ لبيانِ أنَّهم اكتسبوا الشجاعة والجرأة بعد شحنهم بالإيمان، وفي الآيةِ إشارةٌ إلى أنَّه قبل لقاءِ العدوِّ على المؤمنين العلماء الرَّبانيين توجيهُ بقيَّةِ الجند بالخيرِ والإيمانِ، وتذكيرُهم بما عند اللّه تعالى.

نكتةُ الاختلاف في المقابلة في قولِه تعالى: ﴿بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾:

القائدُ متَّصلٌ بـجـنـدِه غير متميِّزٍ عنهم

جاء التَّعبيرُ في قولِه تعالى: ﴿بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ بذكر طالوت وجنوده بالإضمارِ ﴿بَرَزُواْ﴾ دون تفصيل، بينما في المقابل قال: ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ ففصَّل وذكر القائدَ وجندَه، ذلك أنَّهم قالوا في الآيةِ السَّابقة: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾، ناسبَ

(1) الخليل، العين: (فرغ).
(2) الرّاغب، المفردات: (فرغ).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (فرغ).
(4) نخبة من العلماء، التّفسير الميسّر: ص: 41، وجماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم: ص: 41.

في هذه الآية أن يُخبرَ عن ملاقاةٍ من ذكروا، فجرى ذكرُ جالوت وجنودِه كالتَّذكير بقيلِهم قبل اللِّقاءِ، أي: قابلوا من ظنُّوا أن لا طاقة لهم بهم، وأمَّا ذكر طالوت وجنودِه بالضَّميرِ، فهو ما يقتضيه النَّظمُ، وللإشارةِ إلى أنَّ طالوت أثناء المعركة كان وَسَطَ جنوده في خَنْدَقٍ واحدٍ، فلا تمييزَ بين القائد وجُنده.

نكتةُ التَّعبير بلفظِ: ﴿قَالُواْ﴾ دون دعوا:

صـدورُ الـدُّعـاءِ عن الجميعِ مرَّةً واحـــدةً أحـرى بالإجابةِ

عَبَّرَ القرآنُ الكريمُ عن دعاءِ المؤمنين بلفظِ: ﴿قَالُواْ﴾ دون (دَعَوْا)؛ لأنَّ القولَ يُشيرُ إلى رفعِ الصَّوت بالدُّعاء في المعركة، وأنَّهم دعوا مرَّةً واحدةً مجتمعين، بخلاف: (دعوا)، فقد يكونُ سِرّاً، وقد يكون عَلانيةً، وقد يكون من الجميع وقد يكون من الأفراد، وهذا ما وقع من العلماءِ والأقوياءِ مِنْ عَسْكَرِ طالُوت، لَمّا قَرَّروا مَعَ العَوامِّ والضُّعَفاءِ أَنَّهُ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، وأَوْضَحُوا: أَنَّ الفَتْحَ والنُّصْرَةَ لا يَحْصُلانِ إلّا بِإعانَةِ اللّهِ، ولَمّا بَرَزَ عَسْكَرُ طالوتَ إلَى عَسْكَرِ جالُوتَ، ورأَوُا القِلَّةَ في جانِبِهِمْ، والكَثْرَةَ في جانِبِ عَدوِّهِمْ، اشْتَغَلوا بِالدُّعاءِ والتَّضَرُّعِ، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾[1].

سرُّ الدُّعاء بلفظ: ﴿رَبَّنَآ﴾:

الـرُّبـوبـيَّـةُ هي مـقـامُ الـرِّعـايـةِ والعنايةِ والنَّصرِ

لَمّا كان دعاء المؤمنين بإفراغِ الصَّبرِ - والصَّبرُ: حَبْسُ النَّفْسِ على شدائد القتال وأهواله - دَعَوا بلَفظِ: ﴿رَبَّنَآ﴾؛ لإعلان عُبوديتهم وتَذَلُّلِهم لخالقِهم ومربّيهم وناصِرِهم؛ لينالُوا العَونَ والمَدَدَ، ولفظ (الرَّبِّ) دالٌّ على الإصْلاحِ، وعلى المُلْكِ، ففي ذَلِكَ إشْعارٌ بالعُبوديَّة، فهُمْ قَدْ تَوَسَّلوا إلى اللّهِ تَعالى بِرُبوبيَّتِه لهم، وعُبوديَّتِهمْ لَهُ، ففي قَوْلِهِمْ ﴿رَبَّنَآ﴾: إقرارٌ لِلّهِ تعالى بالوَحْدانيَّةِ، وإقْرارٌ لَهُ بالعُبوديَّةِ[2]،

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 6/514.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/592.

وهوَ مَقامٌ عَظيمٌ وشَريفٌ، مِنْ مَقاماتِ التَّعَرُّضِ لِرَحْمَةِ اللّٰهِ تعالى ولُطْفِهِ، ومُناسِبٌ لأَنْ يَتَوَسَّلوا بِهِ إِلَى اللّٰهِ لِنُصْرَتِهم.

بلاغةُ الاستعارةِ في الآية:

يقينُ العبدِ بأنَّ النَّصرَ من الله يقودُه إلى طلبِ أسبابِه

جاءَ التَّعبيرُ عَنْ إِلْهَامِهِمْ إِلَى الصَّبْرِ بِالْإِفْرَاغِ اسْتِعَارَةً لِقُوَّةِ الصَّبْرِ؛ فَإِنَّ الْقُوَّةَ وَالْكَثْرَةَ يَتَعَاوَرَانِ الْأَلْفَاظَ الدَّالَّةَ عَلَيْهِمَا؛ فَاسْتُعِيرَ الْإِفْرَاغُ هُنَا لِلْكَثْرَةِ مَعَ التَّعْمِيمِ وَالْإِحَاطَةِ، وَتَثْبِيتِ الْأَقْدَامِ اسْتِعَارَةً لِعَدَمِ الْفِرَارِ شِبْهِ الْفِرَارِ وَالْخَوْفِ بِزَلَقِ الْقَدَمِ، فَشَبَّهَ عَدَمَهُ بِثَبَاتِ الْقَدَمِ فِي الْمَأْزِقِ[1]، ورشَّح الاستعارةَ تعديةُ الفعلِ بـ ﴿عَلَيْنَا﴾ الّذي يَدُلُّ على الاسْتعلاء، فسألوا ربَّهم أنْ يَصُبَّ عليهم الصَّبرَ، حتّى يكونَ مُسْتَعلياً عليهم، ويكونَ لهم كالظَّرْف، وهم كالمَظْروفين فيه، صَبْراً على مُقاساة شدائدِ الحرب، واقتحامِ مواردِها.

وبلاغةُ الاستعارةِ تظهر في أنَّ الجندَ دعوا اللّٰه تعالى بإفراغ الصَّبرِ عليهم، ليتمكَّنوا من النَّصرِ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّهم علموا أنْ لا نصرَ إلَّا به سبحانه، فطلبوا منه أسبابَه وهو الصَّبرُ والتَّثبيتُ.

سِرُّ التَّرتيبِ البَليغِ في دُعاءِ المؤمنينَ:

عملُ القلوبِ أصلُ عملِ الجوارحِ، وبهما تتحقَّقُ الأعمالُ

رتَّبتِ الآيةُ: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾ الدُّعاءَ بذكرِ إفراغِ الصَّبرِ، وتثبيتِ الأقدام، والنَّصرِ على الكافرين، وهو تَرْتيبٌ بَليغٌ، إذْ سألوا أوَّلاً إفراغَ الصَّبرِ في قُلوبِهم، الَّذي هوَ مَلاكُ الأَمرِ، ثُمَّ ثَباتَ القَدَمِ في مَداحِضِ الحَرْبِ، ثُمَّ النَّصْرَ على العَدوِّ، المُتَرَتِّبَ عَلَيْهِما[2]، فالصَّبرُ عملُ القلوبِ، وتثبيتُ الأقدامِ عملُ الجوارحِ، والنَّصرُ على الكافرين نتيجة الأمرين.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/499.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/152.

بلاغةُ الكِنَايَةِ في قولِه: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾:

الـكـنـايـةُ عَـنِ الـتَّـشْـجِـيـعِ بِـطَـلَـبِ ثَـبَـاتِ الأَقْدَامِ أبلغُ من التَّصريح بها

قالَ المؤمنون: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾، أي: فلا تَزِلُّ عن مَداحِضِ القِتالِ، وهوَ كِنايَةٌ عن تَشْجيعِ قُلوبِهِمْ وتَقْوِيَتِها، ولَمّا سألوا ما يَكونُ مُسْتَعْليًا عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّبْرِ، سألوا تَثْبيتَ أَقْدامِهِمْ وإرْساخها[1]، فإنَّ تثبيتَ الأقدامِ لا يكون إلَّا باكتسابِ القلوبِ شجاعةً وجرأةً على المواجهة، مع الصَّبرِ الذي صرَّحوا بطلبِ إفراغِه عليهم، والكنايةُ أبلغُ من التَّصريحِ؛ لما في التَّصريحِ من ذكرِ الشَّجاعةِ التي تُقابلُ الجبن، وهو يشعر بأنَّهم اتَّصفوا بالجبن فطلبوا دفعَه بالشجاعةِ.

بلاغةُ الفاصلةِ القرآنيَّة:

إيـمـانُ الـعـبـدِ وكـفـرُ الـعـدوِّ سببٌ في النَّصرِ

خُتِمت الفاصلة القرآنيّة بقولِه تعالى: ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أَيْ: أعِنّا عليهم، وجاؤوا بالوَصْفِ المُقْتَضي لِخُذْلانِ أَعْدائِهِمْ، وهوَ الكُفْرُ، وكانوا يَعْبُدونَ الأَصْنامَ[2]، فالإيمانُ المبدوءُ به في الدُّعاءِ يقابلُ الكفرَ المنتهي به في الفاصلةِ، فهم بدأوا داعين بإيمانِهم، لينتصروا به على كفرِ غيرِهم.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/592.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/592.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»